لقد بدأ الخلاف بين العلماء في جواز التفسير بالرأي منذ عصر الصحابة وانقسموا إلى فريقين:

الفريق الأول: ذهب إلى إنه لا يجوز لأحد ان يجرأ على تفسير شيء من القرآن مالم يرد فيه قول للنبي ﷺ أو للصحابة ﷺ وان كان عالماً متبحراً في معرفة الأدلة الفقهية والعلوم العربية والأخبار.

أما الفريق الثاني ، فقد ذهب إلى جواز التفسير بالرأي الصحيح والاجتهاد السديد ولكل فريق ادلة فيما ذهب إليه نجملها على الوجه الآتي:

أولاً- ادلة المانعين:

لقد احتج المانعون بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ النساء: ٥٩، أي ان التفسير موقوف على السماع.

وأما السنة فأحاديث كثيرة منها ما رواه أبو داود والترمذي والنسائي : أن النبي ﷺ قال : ((من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ، ومنها ما رواه ابن عباس عنه ﷺ إنه قال : ((من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)).

وأما أقوال الصحابة فمنها ما ورد عن علي ﷺ إنه قال : ((لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من اعلاه)).

- ومن أقوال التابعين قول الشعبي : والله ما من آية إلا وقد سألت عنها، ولكنها الرواية عن الله تعالى.
- لذلك لم يتصدوا لتفسيره تحرجاً، أو لعدم حاجتهم في ذلك الوقت، لأن الوحي قريب العهد إليهم ، ولا زالت معاني الذكر الحكيم تطوف في إذهانهم ماثلة في عقولهم.

ثانياً: ادلة المجوزين:

أما المجوزون فقد استدلوا بما يأتي :

١- يقول الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٩، فتدبر الآيات لازم ليعرف ما فيها من أحكام ومواعظ حتى يمكن العمل بموجبها، ولا يمكن تدبرها إلا بفهم معناها، لأنه لا يمكن ان يؤمر الناس بتدبرها دون أن يفهموها.

وقد رد فريق المجوزين بالإضافة إلى الأدلة التي ذكرناها على أدلة المانعين بما يلي:

١- ان الدليل الأول غير صحيح، لأن النهي عن تفسير القرآن لا يخلو أما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمر آخر وليس بصحيح ان يكون المراد به إلا يتكلم أحد في تفسير القرآن إلا بما سمعه ، لأن الصحابة أنفسهم قد فسروا بعض آيات القرآن واختلفوا في تفسيرها وليس كل ما قالوه قد سمعوه ، ويمكن ان يحمل النهي على وجهين :

الوجه الأول- ان يكون المفسر له ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرآن على وفق هواه محتجاً بذلك على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى.

الوجه الثاني – ان يسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغريب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والاختصار والحذف والتقديم والتأخير ، فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع للرأي والاجتهاد والاستنباط.

٢- وقالوا عن الدليل الثاني : بأن الحديث الأول في صحته وثبوته نظر لان أحد رواته وهو سهيل بن أبي حزم القطعي قد تكلم فيه، فقد قال الترمذي عنه : غريب.

وعلى فرض صحة الحديثين والتسليم بهما فقد أجاب عنهما العلماء بما يأتي :

أ- يحمل الحديثان على من يريد أن يفسر القرآن بمجرد رأيه وهواه، ولم يأخذه عن السلف ، ومن غير ان يعرف من العلوم اللغوية والشرعية ما يؤهله لهذا فمثل هذا وان أصاب فقد اخطأ

ب- يحمل الحديثان على كل من يفسر المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى.

٣- وأجابوا عن الدليل الثالث بقولهم : إن الذين أحجموا عن القول في القرآن وتفسيره من السلف إنما كان احجامهم عنه حذراً الا يبلغ أداء ما كلفوا به من اصابة صواب القول فيه .

نلخص مما مضى إلى ان التفسير بالرأي السديد المعتمد على الدراية باللغة وأساليبها وما يتصل بذلك من العلم بالأصول والفقه وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغيرها هو الراجح، إذ لو لم نفسر القرآن بالرأي الصحيح والاجتهاد الصائب لا عراضنا عما تعبدنا الله به من النظر في آيات القرآن ، واستنباط أحكامه، ولضاع معنى التدبر والتعقل الذي حثنا الله عليه في آيات كثيرة .

ولما تمكنا من الوصول إلى فقه ما اكتنف كتاب الله من اسرار علمية وكونية ونفسية، لهذا قال الامام الغزالي: ان في فهم معاني القرآن مجالاً رحبا ومتسعاً، وان المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه.

معنى هذا ان خير منهج لتفسير القرآن الكريم هو المنهج الذي يجمع بين هذين النوعين من التفسير. أي التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي السديد ، وقد ازدهر هذا

اللون من التفسير نتيجة لازدهار العلوم الاسلامية وتفرق العلماء فيها فتعددت مؤلفاتهم.

- **ومن أهم التفاسير بالرأي ؟**

١- **أنوار التنزيل واسرار** التأويل : للبيضاوي المتوفى سنة ٦٩١هـ.

٢- **مدارك التنزيل واسرار التأويل** : للنسفي المتوفى سنة ٧٠١هـ.

٣- **لباب التأويل في معاني التنزيل** : للخازن المتوفى سنة ٧٤١هـ.

٤- **البحر المحيط** : لابي حيان المتوفى سنة ٧٤٥هـ.

٥- **غرائب القرآن وغرائب الفرقان** : للنيسابوري المتوفى سنة ٧٢٨هـ.

٦- **السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:** للشربيني المتوفى سنة ٩٧٧هـ.

٧- **تفسير الجلالين** : لجلال الدين المحلي المتوفى سنة ٨٦٤هـ .ط

٨- **ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** : لأبي السعود المتوفى سنة ٩٨٢هـ.

٩- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** : للآلوسي المتوفى سنة ١١٢٧هـ.